صفحات من مذكرات
احمد الحسني البغدادي
في مواجهة الدِّين الآخر
تنشر لأول مرة
صلاة الجمعة.. تشخيص وتناقض

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)(١)

بعد فترةٍ زمنيةٍ قصيرةٍ «إضطر» السيّد مقتدى أَن يبعثَ إليَّ ناطقهُ الرسمي الشَّيخ عليّ سميسم يطلب «رجاءً اخوياً» ضرورة إقامة صلاة الجمعة في مَسجِد الكوفة بدلاً عنه، فاعتذرتُ لهذا الطلب لغايةٍ في نفسِ يعقوبَ، وبعد ثلاثة أَيَّام بعث ثانيةً وفداً شبابياً مِن غيرِ المعممين بوصفه لم يثق بهم مهما تظاهروا بالاخلاص له ولأبيه الشَّهيد، وطُرِّقَ بابُ المنْزل بعد الظهر، فخرج ولدي محمَّد فقالوا: له نحن جئنا مبعوثين مِن قبل السيّد مقتدى، وكنْتُ أنا نائماً فلم يجرأ ولدي على إيقاظي، بَيْدَ أنَّهُ سمع مِني يوماً ما أن يأتي وفد باسم التيار بلا موعدٍ مسبق فلا تعتذر مِنهم، وافتح صدركَ لهم. وفعلاً أدخلهم ورحب بهم، ثُمَّ أيقظني وأَخبرني بذلكَ، وحينها كان التيار الكهربائي مقطوعاً، فاجتمعتُ بهم، وطرحوا عليّ أَداء إمامة فريضة صلاة الجمعة، فاعتذرتُ لهذا الطرح، فأصروا عليّ بناءً على رغبةِ السيّد مقتدى الملحة، فاضطررتُ أن اكشفَ لهم ورقةً خطيرةً مِن خلال عرض شريط فيديو لكي يشاهدوا المقابلةَ التي أجرها الصحافي عبد الله السهلاني مع الصَّدر حيث فاجأه بسؤالٍ استفزازي: هناك لغطٌ بين النَّاس أن آية الله السيّد أحمد الحَسني البغدادي «سيقيم» صلاة الجمعة عما قريب انشاء الله.. فبادره فوراً بـ:«اللهجة الشعبية العراقيّة»: وين.. وين يصليه!.. قال: طبعاً في «مَسجِد الكوفه».. ببرود حاول رده: اكو مَن يقيمها على حسب الموازين الشرعيّة ـ ان صح التعبير ـ ثُمَّ واصل حديثه: إذا رغب أن يصلي هذه الفريضة إحن نطي وكاله له لاقامتها خارج محافظة النَّجف!!..

في حين لم يرده السهلاني بوصفه غير متفقه، لأنَّ أداءَ صلاة الجمعة اذا أُكتملت شروطها الشرعيّة، لا يشترط الرجوع الى احد المتصدين سواء كان قائداً، ام مرجعاً، ام مجتهداً مطلقاً!.. بَيْدَ أنَّهُ أصبح مصداق قول الإمام القائد عليّ بن أبي طالب: «من ملك استأثر» ومهما يكن إلتَفَتُ الى أَبنائي الشباب المتحمسين المكلّفين لأداء هذه المهمة أسألهم بهدوء: لمّاذا هذا الاصرار عليّ.. ثُمَّ لمّاذا أَرْسَلَ وفداً ثانيّاً..وكيف تنازل عن موقعه بهذه السهولة، فدون ذلكَ فرط القتاد؟!.. وهل توقفَ الأمرُ عليّ في سبيل أن أتصدى ضدّ الغزاة المحتلين.. أَم توجس من أَنَّ السيّد السيستاني يحاول تصفيته جسدياً من لدن الاميركان؟!..(٢)

هذا كُلُّهُ ـ يا اولادي ـ ما أَرآهُ واعتقدهُ، وربما أنا على خطأً، والله العالم بالاسرار والخفايا..

ولكن خضوعاً لرغبتكم الرساليةِ الملحةِ أَنا أستجيبُ لهذه الدعوةِ المباركةِ شريطةَ أن يُعلن السيّد مقتدى مِن على منبر الجمعة لكلّ المصلين إقامة هذه الفريضة الواجبة بإمامتي في الاسبوع القادم، فاقتنع الشباب، ومِن فرحتهم تقاطرت الدموع مِن أَعينهم، وهم يتلون قوله تعالى: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا)(٣)

في اليوم التالي زارني الشَّيخ قاسم الطائي، وأَكد عليّ بضرورة إقامة صلاة الجمعة في الصحن الحيدري الشريف بعد أَن تركَ القبانجي إِقامتُها، ويجب إغتنام هذه الفرصة ما دامتْ الساحةُ بَيْدَ التيار الصَّدري.. كذلكَ اعتذرتُ مِنه، بَيْدَ أَنَّهُ أَمسَكَ عن الكلام لحظاتٍ شمل الجميع بنظرةٍ سريعةٍ.. ثُمَّ عاد يخاطبني وهو يتكَلَّمُ بهدوء مستعرضاً تاريخيّ النضاليّ، وأن جماعةَ الحكيم يخشونكَ، ويحسبون لكَ الف حسابٍ وحساب، فلا تتوقف... أَرجوكَ إغتنمْ هذه الفرصة بوصفها تقام في الصحن الحيدري الشريف، وأَنا أَول مَن يبادر الى الصَّلاة خلفك، وقد عكستْ تعابيرُ وجههِ ثقة كبيرة بالنفس كان لها وقعها لدى سامعيه.. فشكرتُ الشَّيخ الطائي على هذه المشاعر الجياشة، وعلى هذه المبادرة الرسالية الصادقة، بَيْدَ أني إعتذرتُ مِنه بِسَبَبِ رفضي الصارم لهذا الاقتراح لاسبابٍ يمكن فهمها الى حين طرد المحتل واذنابه.

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ٩ .

(٢) لاحظ ما يقوله بول بريمر اثناء لقاء الربيعي مع السيستاني : «في اليوم نفسه، طلب موفق الربيعي العضو الشيعي في مجلس الحكم ـ إصطحب وفداً الى النجف لبحث ازمة مقتدى مع السيستاني ـ مقابلتي حاملا رسالة عاجلة من آية الله . قال الربيعي : سعادة السفير تخلفت عن الوفد امس لتسليم آية الله رسالتك بشأن العملية السياسية...-

- ثم اضاف يقول: وجد الربيعي أنَّ آية الله يخشى التهديد الذي يشكلهُ مقتدى . ووصف كيف أنَّ السيستاني، بعد انتشار تمرد مقتدى، تراجع الى عمق مبناه ذي الممرات الضيقة الملتوية قرب العتبة المقدسة في النجف . فقبل ليلتين، وصل مقتدى مع مجموعة من اتباعه دون اخطار مسبق، وطالب برؤية آية الله العظمى السيستاني وارسل ابنه محمد رضا للتحدث الى المجموعة . وتحول الاجتماع الى مباراة في الصراخ، حيث صاح مقتدى على رجال الدين . ابلغ السيستاني الربيعي بان خياره المفضل هو الا يبقى مقتدى وافترضت بذلك انه يريد ان يقتل الشاب !..

وقال الربيعي: انه حاول اشراك السيستاني في بحث العملية الدستورية ، لكن آية الله كان مشغولا جداً بمقتدى بحيث لوح بيده عند السؤال قائلاً : انتخابات!.. مَن يستطيع التحدث عن انتخابات في وقت كهذا ... » انظر : عام قضيته في العراق ، ص: ٢٥٣ .

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣ .